منهم لاحت لها وجوههم . فبعد أن مهد لنفسه النضوج الفكرى بثقافة جامعة واقية فى الفلسفة والأدب ، طرق مجال الخدمة الاجتماعية عملياً فى عمادة مدينة ليون ، فأثبت ماهو أهل له من العلم ، وإحكام الادارة ، وتصريف أمور الحياة بين الناس ، حتى إذا كان فى نحو الأربعين من عمره انتخب مباشرة عضواً فى مجلس الشيوخ الفرنسى عن منطقة الرون ، متخطياً مجلس النواب ، فكان أصغر عضو في ذلك المجلس عام ١٩١٢ ؛ ثم تطرق بعد ذلك إلى منصب الوزارة ، ثم إلى رياسة الوزراء ، ثم إلى رياسة النواب ، فكان فى كل مرحلة منها « الفيلسوف العادل » ، « الموحد لما اختلف » . ولعب بجوار ذلك دوراً لا يستهان به فى تنظيم الحياة الداخلية لأمته إبان الحرب العظمى عندما ولاه الرئيس الوزير بريان وزارة الأشغال والمواصلات والمؤونة ؛ ويمكن أن يتصور خطر هذا المنصب ، والقتال قائم على قدم وساق

وباعتباره « عمدة » لمدينة ليون ، يكفى هذا أن يرفع نظر المصريين إليه ، لأن لهم فيها ذكريات تتعلق بتاريخهم فى العهد الحديث . فالرجل الذى قاد الجنود المصرية فى ساحة الوغى ، وأثبت للعالم سمو الروح الحربية عند المصريين ، ووضع أسس الامبراطورية المصرية ، هو القائد سيف Sève أو سليمان باشا الفرنساوى الذى ترك وطنه فى مدينة « ليون » ، بعد انهزام نابليون ، ليعمل لحساب مؤسس الأسرة العلوية الكريمة ، فكان عند حسن ظن محمد على باشا فيه ؛ فحقق ما رسم له خالق مصر الحديثة ومشيد عظمتها . كذلك ساهمت ليون بعلمائها الأعلام وعلى الخصوص الأستاذ لامبير فى خلق مدرسة للفكر فى مصر تتمثل فى ذلك الشباب النابه الذى ورد شرعة العلم من سنين فى هذه المدينة ، والذين أصبحوا الآن من قادة الفكر فى مصر ، فى الفلسفة الإسلامية ، وفى عمادة الحقوق ، وفى بطولة المحاكم المختلطة ، وفى زعامة المحاماة والثقافة . والجميل فى أمر هذه المدرسة ، أن أهلها يعملون على إعلاء كلمة الوطن فى نبل وهدوء وورع ، دون أن يتخذوا من العلم سبيلا وضيعاً لمهاجمة معتقدات أهل البلاد ودينها ، وتصويرها فى حفلات عامة كقبائل المتوحشين لا هم لساكنيها إلا التفكير فى المأكل والمشرب كما يفعل هذا الكثير من متخرجى السربون وجامعة باريس ، وهو ما لا يليق بشباب يدعى الثقافة والفهم ، ومكتوب على جواز سفره أنه « مصرى » ! ؟

عبد العزيز عزت
عضو بعثة الجامعة المصرية لدكتوراه الدولة

ليلى المريضة فى العراق

للدكتور زكى مبارك

— ١٦ —

خرجت من منزل ليلى نشوان ، نشوان إلى حد الجنون . والمرء فى العراق لا يكون إلا فى حالين اثنين : حال تحدثه فيه النفس بالغرق فى دجلة من الفرح ، وحال تحدثه فيه النفس بالغرق فى دجلة من الغيظ . فالمرء فى العراق إما أن يكون سعيداً كل السعادة ، وإما أن يكون شقياً كل الشقاء

وكذلك حال ليلاى ، فهى قد ترقّ وتلطُف فأدخل دارها بُعَيْد الغروب ولا أخرج إلا قُبَيْل الشروق ؛ وقد تقسو وتعنف فتطردنى من دارها بلا ترفق ولا إشفاق

خرجت من منزل ليلى نشوان ، فقد رضيتُ عنها ورضيتْ عنى ، ولكن الحادث الأخير ترك فى القلب عقابيل ، فأخذت أحترس ، وهل يتفق الحب والاحتراس ؟

نعم يتفق الحب والاحتراس ، ولكن يضيع النعيم . فالمحب المحترس يثق بنفسه ، ولكنه لا يثق بمن يحب ... وليلى بدأت تعد ذنوبى ولكن من أى تاريخ ؟ منذ اليوم الذي اطمأنت فيه إلى عودة العافية !

فمن أنا في دنياى ؟ من أنا فى دنياى ؟

لقد كنت أرجو أن تعمى ليلى عن عيوبى ، ولكن هكذا كنت فى حياتى ، فما أذكر أبداً أنى عانيت الظلم إلا على أيدى ناس أحببتهم واستقتلت فى الدفاع عنهم . كنت كالسيف يلقيه صاحبه بعد أن يفله القتال . كنت كالغصن المثمر يؤخذ للوقود بعد انتهاب ما يحمل من ثمرات . كنت وكنت ، فما أشقانى وما أعظم بلائى !

كذلك دار رأسى وأنا ماض إلى قطار البصرة . وما أدرى كيف صاغ الله عقلى على هذه الصورة ، فعقلى لا يغفو أبداً ؛ وهو دائب على الدرس والتحليل ، وليس من الزهو أن أذكر أن أعظم ما يساورنى من المعضلات الفلسفية أهتدى إلى حله فى أحلامى ،

والسيو ماسينيون يذكر ذلك ، فقد كانت لى معه مواقف يوم كنت تلميذه فى باريس

أمسيت أحقد على ليلى ، ولكن لا بأس ، فقد وثقت بى ، واطمأنت إلى ، فأخذت تصادق من أصادق ، وتعادى من أعادى ؛ وليس ذلك بالقليل ، فما الذى يمنع من أن أحتمل مايثور فى صدرها أحياناً من براكين ؟

أليست عراقية ؟

بلى ، هى عراقية

وأنا رأيت الأعاجيب فى العراق

فمنذ ليال أويت إلى فراشى فى منتصف الليل والسماء صاحية ، ثم انتبهت على الروع والفزع ، فقد كان المنزل ترج سقوفه وحيطانه بعنف ، فأوقدت المصباح وأنا خائف أترقب ، ثم عرفت بعد التأمل أن الصحو أعقبه غيم ومطر وصواعق

ولما خرجت فى الصباح رأيت الشمس آست ما جرح الليل ، وكأن لم يكن شىء !

ذلك هو العراق

وكذلك تكون ليلاى فى العراق

فما الذى يمنع من الصبر على دلالها أو أذاها شهراً أو شهرين حتى تملّ هى من النضال ؟

إن بعض المرضى يرحمهم أن يثوروا على الأطباء . ومن واجب الطبيب أن يرحب بمثل هذه الثورة ، لأنها بشير العافية . وستذكر ليلى أنى كنت من الصابرين ، وأنى منحتها عطف المحب ورفق الطبيب ؛ ولن أفارق بغداد قبل أن تبذل فى سبيلى غاليات المدامع ، إن كتب الله أن تأخذ عن طبيبها أدب الصدق والوفاء

لن أنساك يا ليلى فقد عاديتُ فيك وعُوديت
وأحمل فى ليلى لقوم ضغينةً وتُحمل فى ليلى علىّ الضغائنُ

ولكن هل تفهمين أو تعقلين ؟

أما والله لو تجدين وجدى جمحتِ إلىَ خالعة العذار

* * *

كانت هذه الخواطر السود تنتاش قلبى وأنا فى طريق إلى المحطة ، ثم تفجر الحنان فى قلبى على غير انتظار ، فقد سمعت المذياع يرسل هذه التغريدة رحمة للقلوب

« ليه تلاوعينى ، وانت نور عينى »

وهى من تغاريد أم كلثوم ، وكأنى أسمعها أول مرة ، فرجعت على نفسى باللوم وقلت : كذلك يكون العقاب ! وهممت بالرجوع إلى ليلى لأقول :

« ليه تلاوعينى ، وانت نور عينى »

ولكن تذكرت أن الوقت لا يتسع للقيام بواجبين فى وقت واحد : عتاب ليلى وملاقاة صاحبة العينين التى أرجو أن أدفع بوجهها الشرق وحشة الطريق وظلام الليل

ودار ذهنى يحاور ويجادل :

— كيف تشرك بليلى هذا الإشراك ؟

— أنا أشرك بليلى ؟ معاذ الحب !

والحق أنى أشرك بهوى ليلى ، ولكن هذا الشرك هو طريق إلى التوحيد . أنا أحب جميع الملاح لأهيئ قلبى لحب ليلى . أحب من أجلها كل ما فى الوجود ، وأصفح من أجلها عن جميع الذنوب

وصاحبة العينين ستسألنى عن ليلى ؛ والسؤال عن ليلى ، من ذلك اللسان الألثغ الملجلج هو فى ذاته زُلفَى إلى ليلى . وأنا أيضاً رجل مكروب تضيق به دنياه ، والضلال فى هوى العيون قد ينسينى كروبى ؛ وليلى يسرها أن أعيش أطيب العيش ، وهى تعرف أنى لا أحيا بغير الحب والنسيم ، شفاها الله وشفانى

طوّفت بجميع أرجاء المحطة لأرى صاحبة العينين ، وما رأيت صاحبة العينين

فتشت جميع دواوين القطار لأرى صاحبة العينين ، وما رأيت صاحبة العينين

ورأى حيرتى ناظر المحطة فقال فى تلطف : ضاع منك شىء ؟

فقلت : لا ، ما ضاع منى شىء ، وإنما أخاف وحشة الطريق وظلام الليل

فتعجب الرجل من هذا الجواب المضحك وانصرف

فهل رأى الناس حالاً مثل حالى ؟ هل رأوا من قبلى رجلاً يرحّب بالشرك فيعزّ عليه الشرك ؟

إن الحب يريد أن أذهب إلى البصرة وليس فى قلبى غير ليلاى

* * *

وكان لى فى القطار رفيقان : أولهما الدكتور عبد المجيد القصاب ، وهو طبيب يمثل عذوبة الروح ، وصفاء القلب ، وهو من خيرة الذين عرفتهم فى العراق ، وثانيهما السيد ظالم وهو صحفى أديب لاتعرف في صحبته ضجر السفر ولاطول الطريق ، وليس فيه غير عيب واحد هو التجنى على الموسيقار محمد عبد الوهاب والغناء المطلق في أغانى أم كلثوم

جلس حضرته يدندن ، ولكن كيف ؟ بعد أن لبس عباءة فضفاضة جعلته نسخة من سلطان زنجبار

وأمسى ديواننا فى القطار قريب الشبه بالغرفة التى يجلس فيها أحمد راى بدار الكتب المصرية ، الغرفة التى ترقّ فيها الدندنة وتشتبك حتى لتحسبها خيوط العنكبوت ، الغرفة الجذابة التى يحرم دخولها على أحمد الزين ثم يحلّ ويباح لمن يسألون عن رباعيات الخيام أو تأملات لامرتين

وظالم وراى يشتركان فى صفات كثيرة أهمها تشويه الوجه ورخامة الصوت

- ياسيد ظالم !

— نعم ، ياسيدنا البيه !

— هلم بنا إلى العشاء

— عشاء إيه ، انت عاوز تخرب جيبك ؟

— أخرب جيبي ؟ وكيف ؟

— العشاء فى القطار غال جداً

واعترض الدكتور القصاب فقال : أما يسرك أن تصنع مثل الذى كنت تصنع فى قطار ليون ؟

— لا بأس إذاً تنتظر إلى أن يقف القطار فى المحطة المقبلة

وفى المحطة تقدمت فلاحة في خمار أسود ومعها ماعون هائل من اللبن الرائب ، فاشتريناه بعشرة فلوس ، وتقدم طفل ، وفى يده رغيفان ؛ فساومناه ، فاشتط فى الثمن ، فقاومناه ، فقبض على الرغيفين بأسنانه والقطار يمشى ، فرميناه بعشرة فلوس ونزعنا من أسنانه الرغيفين ! !

ما أظرف العبث فى قطار البصرة وما أحلاه ؟

وفهم الرفيقان أنى ميت من الجوع فلم يأخذا من الطعام غير لقمتين

وما كاد الطعام يستقر فى جوفى حتى هجم النوم هجوماً لم أشهد مثله منذ أعوام طوال ، فعرفت أن ذلك اللبن الرائب أراح أعصابى ، وهى أعصاب أرهقها النضال ومهر الليالى

اتكأت على المرفقة ونمت وأنا جالس ، نوماً شهياً جداً ، ولم يعكر نومى غير الجدل السياسى الذى أثاره الدكتور القصاب مع رفيق غاب عنى اسمه ، وكانا يتحدثان عن المعارك الحزبية فى دمشق

وفى تلك الغفوة الشهية صاح صديق :

دكتور ، دكتور ، أنظر ، أنظر ، أنظر

فنظرت من نافذة القطار فاذا صاحبة العينين فى سيارة مفروزة فى الوحل

وهممت بالنزول من القطار لأرى هذه المرأة كيف أنفع فى الشدائد !

ثم تذكرت أننى أيضاً فى سيارة مفروزة فى الشوك ، هى سيارة الحب

ونظرت إلىّ المرأة نظرة اللهوف

ونظرت إليها نظرة الغريق

نظرتْ ونظرتُ ، ثم نظرتْ ونظرتُ

وأنقذ القطار الموقف فسار لا يلوى على شيء

— دكتور ، دكتور

— نعم ، نعم

— أنظر ، أنظر

ففتحت عينىّ فاذا الشمس أشرقت وإذا سرب من الظباء الوحشية يجول فى البيداء ، وهى أول مرة أرى فيها الظباء الوحشية ذات الأجياد والعيون

أتكون هذه الظباء الوحشية هى البشير بالاقتراب من الظباء الأنسية ؟

هو ذلك ، فلم يبق بيننا وبين الأنس بوجوه أهل البصرة غير ساعتين

* * *

الله أكبر ولله الحمد !

هذه هى البصرة ، هذه هي البصرة ، وما تخونني عيناى

هذا هو البلد الطيب ، بلد المبرد ، المبرد صاحب الكامل فى اللغة والأدب والنحو والتصريف

وبفضل الكامل للمبرد وصلت إلى منصب الأستاذية فى الأدب العربي ؛ وبفضل الكامل للمبرد صحبت الشيخ سيد المرصفى سبع سنين ؛ وبفضل الكامل للمبرد استطاعت القاهرة أن تزاحم البصرة ، فسيذكر التاريخ أن الأزهر جلس على حصيره الممزق رجل أعلم من المبرد ، هو الشيخ سيد المرصفى أستاذى وأستاذ الأساتذة طه حسين وعلى عبد الرازق وأحمد حسن الزيات ، وأول أستاذ تصدر لتدريس الأدب بالأزهر فى العصر الحديث

الله أكبر ولله الحمد !

هذه هى البصرة ذات النخيل

هذه هى المدينة التى تجرى من تحتها الأنهار

هذه شقيقة الفيوم ، على أزهاره وأشواكه أذكى التحيات

هذه هي البصرة ، وما تخونني عيناى

فاذا قيل إن منظر القناطر الخيرية على النيل منظر لا ثانى له فى الوجود ؛

وإذا قيل إن شواطئ الاسكندرية فى الصيف لا ثانى لها فى الوجود ؛

وإذا قيل إن حى الشانزليزيه فى باريس لا ثانى له فى الوجود ؛

وإذا قيل إن السهل الذى تصادفه بعد الانحدار من جبل لبنان منظر لا ثانى له في الوجود ؛

وإذا قيل إن مفترق الطرق بين شارع عماد الدين وشارع فؤاد شيء يفوق الظنون ؛

وإذا قيل إن النبوق بمصر الجديدة والصبوح بالزمالك نعيم يذكر بنعيم الفراديس ؛

وإذا قيل إن صبايا المنصورة لها مذاق لاثاني له فى عالم الجمال ؛

وإذا قيل إن مناظر الكروم فى بوردو لاشبيه لها ولامثيل ؛

وإذا قيل إن بنى المصريين بعضهم على بعض معنى فريد فى الوجود ؛

وإذا قيل إن قبة الجامعة المصريه أعظم قباب الشرق ؛

وإذا قيل إن زكى مبارك أسعد من استصبح بظلام الليل فى بغداد ؛

إذا قيل ذلك أو بعض ذلك فاعرف أن مدينة البصرة هى شيء فريد فى دنيا الشرق ، ودنيا الغرب . هى غريبة الغرائب ، وأعجوبة الأعاجيب . هى فوق الأوهام والظنون ، وإن جهلها فريق من أهل العراق

ما هذه المدينة ؟ ما هيه ؟

لقد استأنست كل الاستئناس حين عرفت أن اللغة العربية لا تزال تسيطر على مثل هذا الثغر الجميل

لقد كبرت وهللت حين رأيت وطن المبرد والجاحظ والحسن البصري وإخوان الصفاء

لقد كبرت وهللت حين عرفت أن للعروبة مواطن لا تقل روعة عن القناطر الخيرية

ثم غلبنى الحزن حين تذكرت أن مناظر شط العرب تشبه مناظر القناطر الخيرية فى الحظ . فمن شط العرب تغافل الشعراء ، وعن القناطر الخيرية تغافل الشعراء

ليس على شط العرب قصور ، وليس على القناطر الخيرية قصور .

الله أكبر ولله الحمد !

هذا طريق النخيل ، وهو صورة أروع من غابة بولونيا ، ولكن أين الظباء ؟

وهؤلاء البصريون وفى عيونهم السحر الحرام أو الحلال ، ولكن أين الشعراء ؟

* * *

عرفت فى البصرة رجلين :

الأول هو السيد تحسين على ، حاكم البصرة ، أو متصرف البصرة

والسيد تحسين علىّ هو مَلَك فى صورة إنسان

هو تحفة من الأريحية العربية التى جاد بها الله على الوجود

السيد تحسين علىّ هو الشاهد على أن شعراء العرب لم يكونوا فى مدائحهم من الكاذبين

السيد تحسين علىّ هو الخليق بأن يقال فيه أطهر من الماء ، وأرق من الهواء

السيد تحسين علىّ هو مجموعة من الخلائق والطباع : فيه أدب مصطفى عبد الرازق ، وتبالُه محمد العشماوى ، وتغافل منصور فهمى ، وطيبة محمد جاد المولى ، وسماحة على الزنكلونى ، وذكاء لطفى السيد ، وسذاجة زكى مبارك ، وعقل زكي مبارك ، إن كان له عقل !

وبفضل السيد تحسين على عرفت من البصرة فى يومين ما لا يعرفه غيرى فى سنين

أكتب هذا والدمع في عيني ، فالدنيا ألأم وأغدر من أن تسمح لى بعلاقة هذا الرجل مرة ثانية . فإن كان هذا آخر العهد فحسبي من الوفاء أن أسجل ثنائى عليه فى هذه الذكرات ، ولها قراء يعدون بالألوف

يا سيد تحسين

سلام عليك ، سلام رجل مصرى يحفظ عهد العراق

أما الصديق الثانى فهو الدكتور عبد الحميد الطوخى ، وما أدرى إلى أى بلد أضيف هذا الطبيب ، فقد عرف المنصورة وشبين الكوم والقاهرة وبغداد والبصرة والموصل ، فهو بالاختصار رجل مخضرم : فيه رقة المنصورة وأدب شبين الكوم وعقل القاهرة وذكاء بغداد وظرف الموصل وكرم البصرة ، هو شخصية دولية يحسب لها المنصف ألف حساب

وبفضل هذا الطبيب قضيت يومين في ابتسام ، فقد ترك سيارته تحت تصرفى يومين ، وكانت فرصة تذكرت فيها الزميل الغالى على الجارم بك ، فعهدى به يهرب منى ، لأنى كنت أرجو أن ينقلنى بسيارته من وزارة المعارف إلى محطة المترو ، وكان ذكاؤه يسعفه بالهرب منى ، فكان يقول : يا دكتور زكى ، أنا رائح عند المشاوى بك ، ثم يروح ولا يعود !

ولما قدم الجارم بك بغداد كنت أنتظر أن ينتفع بخبرتى فيسألنى عن الحياة العلمية والأدبية والفلسفية ، ولكنه لم يسألنى إلا عن شىء واحد ؛ لم يسألنى والله العظيم إلا عن أسعار البنزين فى بغداد !

* * *

نحن فى البصرة

إى والله ، نحن فى البصرة

وفي تلك المدينة تسأل سيدة نبيلة عن طبيب ليلى المريضة في العراق

وتطلب أن ترانى وحدى ، فأذهب إليها وحدى ولا يكون معنا ثالث غير زوجها الشهم النبيل

ويدوم المجلس ساعات وساعات فى جَدَل هو أنضر وأشرف ما عرفت العقول

وتجرى على لسان تلك السيدة ألفاظ يوحيها روحها الشفاف فيبتسم زوجها وهو جذلان

وفى غمرة تلك النشوة أنظر ساعتى فأرى الموعد اقترب للمحاضرة التى دعانى إليها سعادة الأستاذ عبد الرزاق ابراهيم مدير المعارف بالبصرة . وتمد تلك السيدة يدها لتودعني فأبكى لأنى لا أضمن الرجوع إلى البصرة ، أنا الطائر الغريب الذى لم ينعم فى البصرة بغير سواد العيون فى غفوة الزمان ، وهو لا يغفو فى العمر كله غير دقائق

وبعد لحظات أكون فى نادى البصرة فأرى الناس فى انتظارى بالمئات ، إن لم أقل بالألوف . وهناك أرى فتاة جميلة هى بنت عمة ليلى ، فتسرع إلى لقائى بعد انتهاء المحاضرة وهى تقول :

حافظ على شبابك يا دكتور ، فانى أخشى أن يودى التأليف بشبابك

فأتلطف وأقول : لا تخافى على شبابى يا بنيتى ، فهو باق ما بقيت عيون الظباء

وتشجع الفتاة فتقول : أخشى أن يقتلك التأليف !

فأتشجع وأقول : لا تخافى علىّ يابنيتى فأنا لا أخاف الموت ، وإنما يخافنى الموت

ويروعها ذلك فتقول : وكيف ؟

فأجيب : لأن الموت جبان وهو يخشى أن أكتب ضده فى الجرائد والمجلات !

* * *

أفى الحق أننى زرت البصرة ورأيت شط العرب ، ونعمت بكرم السيد تحسين على ، ومروءة الدكتور عبد الحميد الطوخى ، وأدب السيد عبد الرزاق ابراهيم ، ورأيت بنت عمة ليلى ، وشربت الشاى فى منزل السيدة التى تفار من ليلى ؟

لا تصدق ذلك يا قارىء هذه الذكرات ، فتلك أحلام رأيتها فى نومى ولن تعود

إن سمعت أيها القارئ أن جرائد البصرة اعتركت فى سبيلى أساييع وأساييع فلا تصدق

إن سمعت أيها القارئ أننى كحلت عينىّ بتراب البصرة فلا تصدق

إن سمعت أيها القارئ أنني عرفت السيد تحسين على فلا تصدق
إن سمعت أني زرت قريبات ليلى في البصرة فلا تصدق
إن سمعت أنني ألقيت في البصرة محاضرة سمعها مئات أو ألوف فلا تصدق
إن سمعت أن حاكم البصرة ودعني على المحطة فلا تصدق
إن سمعت أنني عانقت عشرين نخلة في البصرة فلا تصدّق
إن سمعت أن أنهار البصرة داعبتني بالمدّ والجزر فلا تصدق
إن سمعت بأن أسماك شط العرب قبلت يدي وخدي فلا تصدق
إن سمعت بأني لم أنفق درهماً واحداً في البصرة فلا تصدق
إن سمعت أن البصرة هدتني بعد ضلال فلا تصدق
إن سمعت أنني ودعت البصرة بالدمع السخين فلا تصدق
أيها القارئ !
أنا ما رأيت البصرة ، ولا رآني أهل البصرة ؛
وشاهد ذلك أنني لا أزال في عقلي ؛ ولو أنني رأيت البصرة لحبلني حسنها فأصبحت من المجانين
أيها القارئ !
أما سمعت أنني أخترع الأقاصيص ؟ فلتعرف أن زيارة البصرة من تلك الأقاصيص
متى أعود إليك أيتها البصرة مرة ثانية ؟ متى أعود ؟ متى أعود ؟

« للحديث شجون » زكي مبارك

رفائيـــل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقـــلم

احمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثمن ١٢ قرشا

التاريخ في سير أبطاله

ابراهام لنـــكولن

هدية الاصراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

— ٩ —

يا شباب الوادي ! خذوا معاني العظمة و
نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم

وكان لنكولن يرى في هذا الطواف مدرسته التي يتلمس فيها المعرفة وأي معرفة هو أحق بها من دراسة طباع الناس والوقوف من كثب على أحوالهم بل والنفاذ إلى سرائرهم وخلجات نفوسهم ؟ أي معرفة هو أحق بها من هذه وهو في غد رئيس الولايات ومحطم الأصفاد ؟

لذلك كان في طوافه إذا فرغ من عمله يغشى المجالس وينطلق إلى البلاد القريبة فيسمع ويري ، ويأخذ بقسط من الأحاديث ، ويدلي بآرائه إذا عن له أن يبدي آراءه في أمر ويستفهم الناس ويسألهم عن أمانيهم ؛ وله مما يلقى إليه من القضايا هاد يرشده في تطلعه وتقصيه